الفصل السادس

أمثلة على الغزو الفكري
من صميم الخليج

أمثلة على الغزو الفكري
من صميم الخليج

مدخل :

كما يقول المثل فإن أهل مكـة أدرى بشعابها، ولذا فإننا سـوف نعتمد في الجزء التالي من هذا البحث على جهود واحـدٍ من أبناء الخليج الـذين حفزتهم غيرتهم الإسـلامية على أمتهم أن يبحثـوا في قضية «الغـزو الفكري» في منطقـة الخليج. والباحث الذي نقصـده هو سعيد بن عبد الله حارب الذي كـان مستشارًا ثقافيا لرئيس دولـة الإمارات العربية المتحـدة حين سجل رسالته للماجستير في جـامعة الإمام محمـد بن سعود الإسلامية بـالرياض، والـذي أصبح - بعد ذلك - أمين عام جامعة الإمارات العربية المتحدة (*)، ثم هو مديرها الآن.

وبعد أن يتتبع الباحث - تـاريخيًّا - محاولات الغزو الفكري - الـذي هو جزء من الغزو الثقافي - في الوصول إلى منطقـة الخليج العربي، يقول إنه بعد أن تمكن من ذلك «بدأ يرسخ عمله من خلال مجموعة كبيرة من المؤسسات التي تمثلت في المدارس والكنائس والإرساليات والمستشفيات، التي تبدو في ظاهرها مؤسسات ثقـافية أو تعليميـة أو صحية.. ولكنهـا تستغل هـذا النشاط في القيـام بأعمال الغزو الفكري (١).

ورغم أن ذلك الغـزو الفكري لمنطقـة الخليج صـاحب الـوجود البريطـاني في المنطقة من القرن الماضي، واستفاد من وجـوده، واعتمد على نفوذه إلى حد كبير،

(*) سعيد عبـد الله حارب المهيـدي : الغزو الفكري في الخليج العـربي، رسالـة ماجستير، قسم الثقـافة الإسـلامية، كليـة الشريعة، جـامعة الإمـام محمـد بن سعـود الإسـلامية، الـرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(١) المرجع السابق، ص ص ٥٢١.

إلا أن الإنسان يلحظ ظاهرة عجيبة، وهي التركـز الشديد لمؤسسات ذلك الغزو خـلال الستينـات والسبعينـات الميـلادية من هـذا القـرن، فلقـد ظهـرت حُمى متسارعـة في إنشاء مـؤسسات ذلك الغـزو، من **مستشفيات ومـدارس وكنائس وإرساليات، فهل كان ذلك معناه أن رحيل الاستعمار بشكله المعروف وبتواجده البغيض واكبه إحـلال النوع الجديد من الغزو، بحيث يبـدو المستعمرون وكأنهم تركوا** المنطقـة لحالها، وصار أمـر شؤونها في أيـدي أبنـائها، بينما الـواقع الحقيقي يقول إنهم تركوا تلك المؤسسات التنصيرية تفعل فعلها في عقول الناس ونفوسهم وفي جماع شخصياتهم ؟؟

لعلنـا لو نظـرنا إلى تلك المؤسسـات، وإلى تواريخ إنشـائها لتبينـا ذلك، كما يتضح من خلال الجدول الآتي :

جدول رقـم (٣)

المدارس الأجنبية ذات النشاط التنصيري

وتواريخ إنشائها على أرض الخليج العربي [١].

العدد	اسم المدرسة	مكان وجودها	تاريخ الإنشاء
١	مدرسة القديس يوسف ST. Joseph .	أبو ظبي	١٩٦٧م
٢	مدرسة الخبيرات .	أبو ظبي	١٩٦٨م
٣	مدرسة راهبات الوردية .	أبو ظبي	١٩٦٩م
٤	مدرسة القديسة مريم .	دبي	١٩٧٠م
٥	مدرسة القديس أنطوني الخاصة .	دبي	١٩٧٠م
٦	مدرسة الراشد الصالح .	دبي	١٩٧١م
٧	مدرسة المروج .	دبي	١٩٧٥م
٨	روضة منتسوري .	الشارقة	١٩٧٥م
٩	مدرسة الشارقة الخاصة .	الشارقة	١٩٧٦م
١٠	مدرسة الشويفات الدولية .	أبو ظبي	١٩٧٨م
١١	مدرسة راهبات الوردية .	الشارقة	١٩٨٠م
١٢	مدرسة الإمارات الإنجليزية .	دبي	١٩٨٠م
١٣	مدرسة الشويفات الدولية .	العين	١٩٨٠م
١٤	مدرسة الشويفات الدولية .	الشارقة	١٩٨٦م

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٥٢١ - ٥٤٨ .

بعض هذه المدارس، وخاصة الكبيرة العدد منها، يتكون من أكثر من مدرسة، وأحيانًا ثلاث مدارس (روضة ـ متوسط ـ ثانوي، وأحيانًا مدارس للبنين والبنات).

وكما يلاحظ القارئ فإن هذه المدارس الأجنبية التنصيرية الأربع عشرة متواجدة في دولة واحدة من دول الخليج العربي، وهي دولة الإمارات العربية المتحدة، ولا يعقل أن يكون هذا النشاط المحموم في إنشاء هذه المدارس قد اقتصر على دولة واحدة بعينها، هي دولة الإمارات، ولكن المنطق هو أن الباحث الذي قام بالدراسة من أبناء دولة الإمارات، ولذا ركز جهوده فيها على شجون مجتمعه الخليجي، حيث أتيحت له البيانات والمعلومات المطلوبة لدراسته، وقد ألمح في ثنايا بحثه إلى مدارس مماثلة أنشئت في البحرين والكويت.

جدول رقم (٤)

أعداد الطلاب المسلمين في المدارس الأجنبية

ونسبتهم إلى مجموع الطلاب (١).

اسم المدرسة	أعداد الطلاب	المسلمون منهم	نسبتهم في ٪
مدرسة القديس يوسف ST. Joseph.	١٠١٦	٤٠٠	٪٣٩
مدرسة الخبيرات.	٨٧٣	١٠٧	٪١٩
مدرسة راهبات الوردية (أبوظبي).	٢٢٦٢	١٩٠١	٪٨٦
مدرسة القديسة مريم الثانوية.	١١٦٩	٩٥٨	٪٨٢
مدرسة القديس أنطوني الخاصة.	١٧١	٧٦	٪٤٤
مدرسة الراشد الصالح.	٨٥٩	٦٨٧	٪٨٠
مدرسة المروج.	٣٩١	٣١٢	٪٨٠
روضة منتسوري (الشارقة).	٩٨	-	-
مدرسة الشارقة الخاصة.	٧٠٦	٦٥٢	٪٩٢
مدرسة الشويفات الدولية (أبو ظبي).	١٧٠٩	١١١٠	٪٦٥
مدرسة راهبات الوردية (الشارقة).	٩٨٠	٧٢٨	٪٧٤
مدرسة الإمارات الإنجليزية.	٢٥٨	١٢٩	٪٥٠
مدرسة الشويفات الدولية (العين).	٣٦٣	٢٧٠	٪٧٣
مدرسة الشويفات الدولية (الشارقة).	٩٢٥	٤٨٢	٪٥٢

(١) المرجع السابق.

وهكذا نرى أن الغالبية العظمى من تلاميذ وتلميذات هذه المدارس هم من أبناء المسلمين، وهذا يبين بوضوح أن الهدف من إنشائها هو الوصول إلى عقول وأرواح وشخصيات الأجيال الصاعدة من أبناء المسلمين، وهذا هو أخطر عمل يمكن أن يتعرضوا له؛ لأنه يتم في مرحلة تكوين شخصياتهم وبنائها، وتأثير التعليم والتربية، خصوصًا إذا كانت المناهج منحرفة، وأوجه النشاط المدرسي عليها علامات استفهام كبيرة، وذلك كما سوف نرى حين نتعرض لها.

ومن جانب آخر فإننا نوجه نظر المسلمين في مجتمعات الخليج إلى أن الدعاوى التي يتقدم بها المسؤولون عن تلك المدارس حين يطلبون التصريح بإنشائها تقول ـ أي تلك الدعاوى ـ بأنهم يريدون أن يفتحوا مدارس لأبنائهم. ولكن الواقع، ومن خلال الأرقام التي مررنا عليها، يقول بغير ذلك، حيث رأينا أن النسبة الغالبة، بل والأغلبية العظمى في كثير من هذه المدارس هم من أبناء المسلمين، وليسوا من أبناء الأجانب.

وبالنسبة لإدارة تلك المدارس وللمدرسين والمدرسات العاملين بها نجد أنهم جميعا من غير المسلمين، بل إنهم ليسوا كذلك فحسب، وإنما هم من الرهبان والراهبات النشيطين في العمل التنصيري في بلدانهم، أو أنهم جاءوا من بلاد أخرى غير بلاد الخليج المذكورة، وذلك لتنفيذ مخططات محددة، وأهداف مرسومة، وخصوصًا من العراق والأردن، بل إن الكنيسة قد نزلت إلى ميدان التربية والتعليم، دون مواراة أو مداراة، فكما يقول حارب عند حديثه عن مدرسة «القديسة مريم» الثانوية الموجودة في دبي:

ويدير المدرسة حاليا الراهب «يوزبيوس دافري»، وهو إيطالي الجنسية، وكان يقوم بدور «القاصد الرسولي»، أي ممثل البابا في الجزيرة العربية، حتى عام ١٩٨٢م، حيث تولى الراهب «بتسوب برنارد جرمولي» القيام بمهمة القاصد الرسولي، وتفرغ هو لإدارة المدرسة والعمل التنصيري (١).

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٢٨.

ملامح من مناهج تلك المدارس :

من المعروف أن الـذين يهتمون بـالتربية والتعليم يـركزن اهتمامـاتهم بالـدرجة الأولى على المعلم وعلى المنـاهج ، حيث المعلم هـو الأساس في كل مـا يجرى من عمليـات تربـوية وتعليميـة ، وحيث هـو المحقق لأهداف المنـاهج الموضوعـة ، والمنـاهج التي ارتضـاها الخبراء في التربيـة والتعليم لتحقيق أهـداف المجتمع في أجيالـه الصاعدة ، وها نحن قـد رأينا النسبة الغـالبة من معلمي ومعلمات تلك المدارس من الرهبـان والراهبـات الذين نـذروا أنفسهم للعمل التنصيري في بلاد الخليج ، فماذا عن المناهج ؟؟

هل تدرس هـذه المدارس الأجنبية منـاهج البلاد الإسـلامية التي استضـافتها وفتحت لها أبوابها ، وأعطتهـا من التسهيلات المادية والمعنـوية الشيء الكثير، أم أنها رفضت هذه المناهج ، على الـرغم من أنها تدرس لنسب كبرى من أبناء تلك المجتمعات ، وأتت بمناهج تخص مجتمعات أخرى غيرنا ، بل وأكثر من ذلك أن أجزاء من تلك المناهج تعارض ديننا وتؤثر في عقيدة أبنائنا ؟؟

لعلنا في السطور القادمة نستعرض بعضا من ملامح تلك المناهج ، وشيئا من أوجه النشاط المنافية لأهـداف المجتمع وقيمه ، خصوصًا ونحن نعلم أن النشاط المدرسي جزء أساسي من المنهج ، وأن الطلاب يتأثرون به ، ربما أكثر من المقررات الدراسيـة ذاتها . وأكثر من ذلك أن نعلم أن إدارات تلك المدارس خـالفت نظم التعليم ولـوائحـه في بـلاد الخليج ، عن قصـد ، وحتى حينما نُبهت إلى ذلك لم ترتدع ولم تنفذ ما طُلب منها من جانب المسؤولين عن التعليم .

أولاً :

تقول المعلومات المتجمعة عن هذه المدارس أن مناهجها تخالف مناهج الدول المضيفة لها ، فهي «تتلقى منـاهجها من أمـريكا وبريطـانيا وفرنسـا . . . بما فيها

مادة اللغة العربية والتربية الإسلامية (؟؟) التي فرضت بقرار من وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات [1]، وذلك كما هو الحال في مدرسة القديسة مريم الثانوية.

ولا يتصور إنسان أن وضع هذه المدرسة وضع متفرد أو وحيد؛ فالمدارس هناك كلها هكذا، لا تخضع لمنهج بلادنا، ولا تعمل به، وإنما الاستيراد من الخارج، ومن بلاد بعينها هو الأساس، ففي حالة مدرسة «الشويفات الدولية بالشارقة» جيئ بالمناهج من بريطانيا وأمريكا ولبنان وفرنسا [2]. أما مدرسة الشويفات بأبي ظبي فمصادرها من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وهونج كونج حيث جيء بالكتب من هناك، بينما صمم المنهج على أساس «البكالوريا العالمية» الموضوعة في «نيويورك» [3]. وتكفي هذه الأمثلة لتعطينا فكرة عن البلاد التي تستورد منها مناهج تلك المدارس. . . وهي كلها تسير على هذا المنوال.

ثانيًا:

مناهج هذه المدارس ـ جميعًا ـ لا تعتمد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، لغة التدريس الأولى بها، وإنما الإنجليزية هي الأساس، وذرًّا للرماد في العيون توضع العربية مع لغات أخرى، مثل الفرنسية والأردو أو الأسبانية والإيطالية ويسمونها لغات تخصص.

ثالثًا:

داخل المنهج توجد مخالفات صريحة لتوجهات المجتمع الذي توجد فيه هذه المدارس، وفيما يلي بعض الأمثلة:

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ص ٥٣٤ - ٥٣٦.

١ - رفضت مدرسة الشويفات الدولية بالشارقة تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية والاجتماعيات وفقا لمنهج وزارة التربية والتعليم، واكتفت بتدريس مادة التربية الإسلامية واللغة العربية للمسلمين العرب فقط [١].

٢ - كانت المدرسة السابقة تقوم بتدريس كتاب في التاريخ يتناول «قيام دولة إسرائيل»، وقد طلبت الوزارة من المدرسة إلغاء هذا الكتاب، واستبدال كتاب آخر به، إلا أن المدرسة لم تقم بذلك، واكتفت بحذف القسم الذي يتناول هذا الموضوع من المناهج [٢]. ومعنى ذلك أن الكتاب بقي بأيدي الطلاب، بما فيه من معلومات عن إسرائيل !!

٣ - يتم الغزو الفكري في هذه المدرسة السابقة - من خلال المناهج الدراسية التي تقدم إلى الطلاب باسم العلمية والبحث العلمي، حيث تقدم هذه المدرسة مناهج مشوهة عن الإسلام، كما حدث في تدريس كتاب «أهل الكهف» تأليف توفيق الحكيم الذي يخالف فيه ما جاء في القرآن الكريم عن قصة أهل الكهف، وقد طلبت وزارة التربية والتعليم إلغاء هذا الكتاب إلا أن المدرسة رفضت ذلك بدعوى أن وزارة الإعلام والثقافة لم تضع هذا الكتاب في قائمة الكتب الممنوعة[٣].

٤ - تستغل المدرسة النشاط المدرسي في تربية الناشئة على معانٍ تربوية مخالفة للإسلام، فبجانب النشاط الرياضي الذي انحرف عن الهدف الأساسي الذي أقيم من أجله، وهو تربية الجسم، نجد أن هذا النشاط قد تحول إلى نوع من الاختلاط المحرم بين الطلبة والطالبات وهم في سن المراهقة، كما أن المدرسة تقوم بتدريب الطلبة والطالبات على الرقص والحفلات الموسيقية المختلطة، وتجري مسابقات بينهم لتحديد الفائز منهم في ذلك [٤].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣٥.

٥ - من الممكن ملاحظة الغزو الفكري لهذه المدرسة - الشويفات الدولية بأبي ظبي - من خلال المناهج التي تقوم بتدريسها للطلبة، وهي مناهج بعيدة عن العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة المجتمع الذي تقوم فيه مثل هذه المدارس، فالكتب التي يتم تدريسها في المدارس تتكلم عن بطولات وشخصيات غير إسلامية، مما يرسخ في أذهان الناشئة تمجيدًا واحترامًا لهذه الشخصيات، في حين يتم إغفال البطولات الإسلامية والتاريخ الإسلامي المجيد(١).

ويضرب الباحث عددًا من الأمثلة على ما يدرس في كتب كل صف مما يؤكد مقولته السابقة، وخصوصًا حينما يدرس لأبنائنا عن بطولات «نابليون بونابرت» و «كريستوفر كولمبس» و«ماركو بولو»، و«الكابتن سكوت»، و«الإسكندر الأكبر»... بينما رفضت المدرسة لمرات عديدة تغيير مناهجها، أو تدريس التربية الإسلامية واللغة العربية وفقا لمناهج الوزارة، وبنصاب يساوي احتياج الطلاب المسلمين إلى تلك المواد(٢)!!

٦ - تقوم المدرسة السابقة بنشاط لا أخلاقي، حيث تقام حفلات راقصة تقدم فيها الخمور، ويدرس الأطفال أن الخنزير حيوان نظيف وجميل ولحمه طيب !!! ويقول الباحث إنه «نظرا للمخالفات الكثيرة فقد رفضت وزارة التربية والتعليم التصديق على شهادات ووثائق المدرسة، حتى تتراجع عن مخالفاتها وتطبق الأنظمة والقوانين المتبعة في دولة الإمارات العربية المتحدة(٣).

٧ - في مدرسة القديس يوسف بأبي ظبي يمارس الغزو الفكري من خلال النشاط التنصيري الذي يقدم في صورة ثقافية واجتماعية، فمناهج المدرسة قائمة

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣٨.

(٣) رسالة وكيل وزارة التربية رقم ت ع/ ٤/ ١٠٣٤٥ إلى مدرسة الشويفات بتاريخ ٤ ذي القعدة ١٤٠٢هـ الموافق ٢٥/ ٨/ ١٩٨٢م، ملف الصادر العام، وزارة التربية، (نقلا عن المصدر السابق).

على تمجيد النصرانية، وإظهار البلاد النصرانية بمظهر المجتمع المتقدم، مما يعطي صورة للناشئة بأن المجتمع الإسلامي مجتمع متخلف، ففي منهج التاريخ يتحدث كتاب «أوروبا وما بعدها» عن الحضارة الغربية والتقدم العلمي الذي وصلت إليه أوروبا، ومدى تفوقها على العالم، وحين يتعرض للعالم الإسلامي يصفه بأنه مجتمع متخلف تعيش فيه مجموعة من البدو الرعاة !![1].

٨ - ولا زال حديثنا عن أوجه النشاط المختلفة من خلال المنهج، ونصل هنا إلى النشاطات المصاحبة للمنهج أو التي يسميها التربويون Extra Curricular Activities فنجد أن هذه المدارس لا تكتفي بالتأثير على الأطفال في المدارس، وإنما تمد نشاطها خارج صفوف الدراسة.. إلى أولياء الأمور في منازلهم حيث «ترتبط المدرسة بأولياء الأمور ارتباطا وثيقا من خلال الزيارات التي يقوم بها العاملون في المدرسة إلى منازل الطلاب للتعرف على أولياء أمورهم، وربط العلاقات الاجتماعية معهم.

كما أنهم يدعون جميعا إلى المدرسة لقضاء يوم كامل مع العاملين في المدرسة والطلاب، بهدف التعرف على سير الدراسة، ويسمى هذا النظام «اليوم المفتوح»، ويلتقي هؤلاء الأولياء (أولياء الأمور) خلال وجودهم بالمدرسة المقامة في الكنيسة [لعلنا نتنبه نحن المسلمين] بمديرة المدرسة.. الراهبة، وبقية العاملين في المدرسة والكنيسة، كما أن المدرسة تحتفل بالأعياد النصرانية، كعيد الميلاد، وعيد الفصح.. وغيرهما، وهي تعطل ــ للعلم ــ أيام الجمعة.. والأحد.

٩ - وفي مدرسة القديس أنطوني الخاصة يتضمن النشاط حضور قدّاس الأحد الذي يقوم في إحدى الكنائس [ومرة ثانية.. وثالثة.. وألف.. ليتنا

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٤٢.

نتنبه نحن المسلمين]، حيث أن مبنى المدرسة لا يحتوي على كنيسة؛ لأنه مبنى مؤقت .

ثم لعلنا نسأل أنفسنا سؤالاً نعتقد أنه مناسب، وفي موضعه : ترى لو أن إحدى مدارسنا، في بعض بلادنا الإسلامية التي يعيش فيها طائفة من النصارى أصرّت على أن تفعل الشيء نفسه بالنسبة لأطفال هؤلاء النصارى، ترى هل كان أولياء أمورهم سيقبلون به، أم هل كانت الكنيسة ومن هم وراءها سيسكتون عليه؟؟

ومن المملكة العربية السعودية :

نقرأ لباحث تعقب المستشرقين البريطانيين، وحاول أن يقف على آثارهم في توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، وقد جعل الجانب التطبيقي من رسالته في دول الخليج العربي، وكان ذلك على شكل رسالة علمية موثقة حصل بها نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود على درجة الماجستير من قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [1]، وقد اشترك المؤلف في مناقشتها .

هذا وسوف نترك الجانب العام في الرسالة، والمتعلق بأثر المستشرقين البريطانيين في توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، ونركز مقتطفاتنا منها على الجانب الذي يتعلق بدول الخليج العربية التي حددها الباحث، لأنه هو الجانب الذي يتعلق بدراستنا هذه والمتعلقة بالغزو الثقافي في دول الخليج .

يقول نايف بن ثنيان إن المنصرين قد اتخذوا في محاولتهم غزو المسلمين عدة وسائل كان من بينها ما يلي :

---

(١) نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود : المستشرقون البريطانيون وأثرهم في توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي «دول مجلس التعاون»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ.

أولاً :

المؤتمرات الفكرية، وقد اندرج تحتها ما يلي :

١ - تشويه صورة الإسلام.

٢ - تحريف فهم القرآن.

٣ - التعليم الإرسالي، وهو أقوى الوسائل، ويستدل على ذلك بما كتبه مصطفى الخالدي وعمر فروخ في مؤلفهما «التبشير والاستعمار في الدول العربية»، حين نقلا عن شخص يدعى «نبروز» وكان رئيسًا للجامعة الأمريكية في بيروت، نقلا عنه قوله : لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان [١].

٤ - الصحافة والطبع والنشر.

٥ - مقاومة الأزهر و إضعاف تأثيره.

٦ - إذاعة الدعوات المشبوهة.

٧ - الدعوة إلى الشعوبية والقومية.

٨ - تمزيق الوحدة الإسلامية.

٩ - إثارة الفتن الداخلية والقلاقل والحروب.

١٠ - بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها.

ثانيًا :

العلاج الطبي :

ثالثًا :

الشؤون الاجتماعية، وتحتها نجد :

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

١ - الأعمال الاجتماعية ستار للتنصير.

٢ - استغلال حالات الفقر والحاجة.

٣ - استمالة المسلمين والتحكم بهم.

٤ - التركيز على المرأة المسلمة.

٥ - التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل.

٦ - استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين.

٧ - استخدام الرشوة.

ويبين الباحث بوضوح العلاقة الوثيقة التي لا تنفصم بين الثالوث المعادي للإسلام والمسلمين، والذي يتكون من التنصير والاستشراق والاستعمار، ويضرب لنا مثالا يقول فيه «كان كريستيان ستوك هو جونيه مستشرقًا يعتمد على خبرته العلمية بالشرق، وقد أبدى استعدادًا للعمل في خدمة الاستعمار، وأقام في مكة نصف عام متخفيا بين المسلمين، وأنجز كتابًا عن مكة خدمة لمهمته الاستعمارية الهولندية الهندية» (١). وهكذا نرى جاسوسًا على المسلمين في صورة عالم، ومما لا شك فيه أن مهمته - بالدرجة الأولى - كانت أن يعرف ما خفي عليه من أحوال التجمع الإسلامي العظيم للمسلمين في مكة المكرمة.

ويقول الباحث إن هؤلاء المنصرين هم على خلاف مع دولهم في الداخل، ولكن حينما يأتي الأمر إلى ما يتعلق بالمسلمين فإنهم يتوحدون جميعًا ضدنا.. دولاً وأفرادًا، وذلك أننا «إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه ملحدًا لا يؤمن بدين، وعالمًا ماديًا لا يعرف للروح معنى: إن أمريكا قد غطت نصف الكرة الأرضية بمنصرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني، وفرنسا دولة علمانية

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

في بلادها، ورغم ذلك نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين المسيحي في الخارج، وإن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها، وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياساتها الاستعمارية على جهود الرهبان والمنصرين.

وكثيرًا ما كان العسكريون من الإنجليز - خاصة - يحضون حكوماتهم على بث المنصرين في العالم، كما نصح الجنرال «هايغ» الحكومة البريطانية أن ترسل منصريها إلى شبه جزيرة العرب. فالتعاون بين المنصرين والاستعمار واضح وجلي، فالاستشراق والتنصير كلاهما دعامة للاستعمار، وكلاهما دعوة إلى إضعاف القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية، والدعوة إلى العامية، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية [1]، ونجاحهما في رسالتيهما مؤدٍّ - بلا شك - إلى وقوع الغزو الثقافي للأمة الإسلامية وإلى تمكنه من أفرادها ومجتمعاتها.

ولا يحتاج إنسان لبيب لشرح الصلة بين الاستعمار والاستشراق والتنصير فهذا الثالوث أضحى واضحًا في أذهان المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية، وإنما يهمنا بالدرجة الأولى أن نبين - من خلال الأدلة القاطعة - كيف استطاعوا في فترة من فترات تاريخنا المعاصر أن يركبوا سلاح التعليم، وأن يدخلوا به إلى بلادنا كحصان طروادة. وقبل أن نقف على ما فعلوه، من خلال سلاح التعليم، لعلنا نمر سريعًا على إيمانهم العميق بالتعليم سلاحًا لغزو الشعوب.

يقول «زويمر» على جبل الزيتون في القدس، إبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م): **لقد قبضنا أيها الإخوان، في هذه الحقبة من الدهر، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، على جميع برامج التعليم في**

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٣.

الممالك الإسلامية . وإنكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، ومن ثم جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يعرف همة في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ، يجود بكل شيء»[1]. هكذا نقل «نايف بن ثنيان» عن «علي جريشة» و«محمد شريف الزيبق» ، في مرجعهما : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي .

كذلك نقرأ لـ «هاملتون جب» في أحد تقاريره «إن إدخال طرائق جديدة في البلاد الإسلامية كان سيتطلب نظامًا جديدًا في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية ، وإن إصلاح التعليم على هذا النحو لم يكن في ذلك الوقت يخطر على بال السلطات المدنية الإسلامية ، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى ، فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر ، وذلك يرجع غالبًا إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة . . . هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ ، وكونت أذواقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي ، فصاروا في سبيل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة (أي التعليم على الطريقة المسيحية)»[2].

---

(١) المرجع السابق ، ص ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

وبمنتهى الصراحة والوضوح تعترف إحدى المنصرات التي عملت في مصر (أنا مليجان) قائلة عن خطورة التعليم «ليس ثمة طريقة إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة. إن المدرسة أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الدين المسيحي، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم»(١).

ولا يحتاج القارئ المسلم الواعي لكثير من إجهاد الذهن لفهم ذلك، إذ يكفيه - فقط - أن يجيل بصره في عالمنا الإسلامي ليرى بعض (القادة) الذين نشِّئوا في تلك الحقبة على أيدي مدرسي تلك المدارس، وكيف أنهم يطبقون في بلاد المسلمين هذه الأيام أمورًا لم يستطعها المستعمر الأجنبي حين كان متمكنًا من مقدرات بلادنا، وذلك من حيث تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية، وعدم تطبيق أحكام الله في الأرض، مع أنهم يقرأون صباح مساء في قرآنه الكريم: ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾...

كما أن العالم الغربي ـ معقل النصرانية ـ لا شك سعيد وهو يرى كثيرًا من هؤلاء الحكام وهم ـ بجانب تعطيلهم لأحكام الشريعة ـ يقيمون حكومات علمانية، وأنظمة تخدم الآخرين ولا تخدم أمتهم الإسلامية.

أساليب الغزو الفكري لتشويه الشريعة الإسلامية:

يلاحظ الباحث أن للغزو الفكري أساليب معينة اتبعها أصحابه في غزو عالمنا الإسلامي، ويمكن تلخيص بعض هذه الأساليب فيما يلي:

---

(١) المرجع السابق.

١ - محاولات الطعن في المصادر الإسلامية، فكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وشخصية الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، لم تسلم من محاولات التشويه المتعمد من الحاقدين، أو التشويه العفوي من الجاهلين من المستشرقين، ثم من تبعهم من تلاميذهم.

٢ - وكذلك محاولاتهم لتشويه اللغة العربية، فهاجموها في قواعدها، ودعوا للكتابة بالعامية بدلا من الفصحى، وذكروا أن التزام الكتابة بالعربية «الكلاسيكية» القديمة لا يمكن أن يؤدي إلى أدب حقيقي أو متطور، وأرادوا أن يحصروا اللغة العربية الفصحى في دائرة الطقوس تشبها بما عندهم.

٣ - أما الفقه الإسلامي فقد وصفوه بالقسوة في الأحكام، كما خلطوا بين المصادر الربانية (الكتاب والسنة) والعمل البشري (الاجتهاد).

٤ - ومن هذه الأساليب الضغوط النفسية والفكرية والمادية والتعليمية والطبية التي يمارسها دعاة الغزو الفكري لتحقيق أهدافهم في إيجاد روح التخاذل والقهر النفسي الذي يقتضي استمرار خضوع المسلم للغربيين.

٥ - تأسيس المستشفيات والمؤسسات الخيرية، وتأسيس المدارس والمعاهد، وهذه المؤسسات في ظاهرها خدمات طبية وتعليمية، ولكن من خلالها تبث السموم بين من يرتاد هذه القطاعات بمحاولة تشويه الشريعة الإسلامية والدعوة إلى مبادئ وأفكار أخرى لا تتفق وواقع المسلمين ودينهم.

٦ - السيطرة على وسائل الإعلام في العالم، وتسخيرها لخدمة أهدافهم ومعتقداتهم الفاسدة، لمحاربة الإسلام وأهله، وإصدار المجلات والصحف والكتيبات المليئة بالمزاعم الباطلة عن الإسلام، والمسلمين، والتغلغل السياسي والاقتصادي في بعض أوطان العالم الإسلامي [1].

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

ونود أن نذكر القارئ الكريم بأساليب أتباع هؤلاء الغزاة في عالمنا الإسلامي والذين لا يزالون يعيشون بيننا حتى اليوم، فلقد حاول نفر منهم أن يشوّه صورة الجهاد الأفغاني بأساليب ملتوية، وقد اعتمدوا في ذلك على بعض الخلافات التي وقعت بين فصائل المجاهدين، وكأنهم يريدون للعالم الإسلامي أن يبتعد عن تأييد المجاهدين الذين وقفوا في وجه الموجة الشيوعية الكافرة التي كانت تخطط لأبعد من احتلال أفغانستان.

كذلك فإن بعضهم يحاول من خلال الكتابة في الصحف، أن يفت في عضد المسلمين الذين يحاولون مناصرة إخوانهم في العقيدة في «البوسنة والهرسك» والذين وقفوا ـ ولا يزالون يقفون ـ في وجه النصرانية الرهيبة التي يؤيدها الغرب كله، ومن ورائه الكنيسة، خصوصًا وقد سيطروا على مداخل ومخارج بلاد المسلمين فلم يسمحوا لمسلمي «البوسنة والهرسك» بالتسلح حتى يدافعوا عن أنفسهم، وقد خرج نفر من هؤلاء - دعاة الغزو الفكري - ليكتبوا لنا عن السرقات التي تحدث لأموال الذين يتبرعون لقضية البوسنة والهرسك، وهذا وضع خطير؛ لأنهم بطريقة أو بأخرى يعملون على التشكيك في جميع العاملين في المجالات الإسلامية، ومن ثم يشككون المتبرعين في جدوى إرسال مساعداتهم إلى هناك.

وحتى لو افترضنا أن هناك نفرًا من الناس انحرفوا عن جادة الصواب وتنكبوا الطريق وسمحوا لأنفسهم بالاتجار في بعض أموال التبرعات هل معنى ذلك أن جميع العاملين في المجال الإسلامي هم كذلك، ثم هل هناك مجتمع صافٍ نقي يخلو من المنحرفين أو من المستغلين ؟؟ إننا يجب أن نسأل أنفسنا عن نسبة من نتحدث عنهم، كما يجب أن نتقي الله في إخوان لنا يجاهدون بأنفسهم التي باعوها لله، ولا ينبغي علينا أن نسير خلف كل ناعق يقول بفكرة، أو يطرح رأيًا يهدف من ورائه إلى التشكيك فيمن يقومون بجهود مشكورة في العمل الإسلامي.

وعن دول الخليج :

يقول الباحث الخليجي «لقد قام الاستعمار بمحاولات شتى للسيطرة على التعليم ومناهجه، فكان يسير جميع الأمور التي تعملها الدولة من أجل التعليم ليكون على بينة من الأمر ساعيا بشتى الطرق من أجل أن يتواكب التعليم مع أهدافه ومخططاته.

فعندما بدأت شعوب منطقة الخليج العربي تطمح إلى الازدياد من العلم والمعرفة مع أوائل القرن العشرين الميلادي، بتأسيس مدارس حديثة، تسير وفق مناهج وأسس متطورة تنمي في الشباب حب الله ثم الوطن وإيجاد الشعور الوطني لدى الشباب، مما يترتب عليه وجود تيارات سياسية تهدد الوجود الاستعماري في المنطقة، عمد المستعمر في سياسته الرامية إلى السيطرة على التعليم بوضع مستشارين للتعليم في دول المنطقة حينما استشعر خطر العلم في المنطقة على الوجود البريطاني.

لقد عين «أدريان فالنسي» مستشارًا للتعليم في دولة البحرين، ثم عين بعده «جيمس وكلن» مستشارًا للتعليم في البحرين أيضا، وكذلك في دولة الكويت، على أن تكون إقامته في البحرين» (١).

ويبين لنا الكاتب، من خلال عدد من الأمثلة الحية، كيف أن الإنجليز كانوا يتخوفون من أي نشاط يقوم به في مجال التعليم أي أفراد لا يخضعون لهم، ولا يتبعون سياستهم، لدرجة أنهم كانوا يطالبون بإلغاء عقود أشخاص بعينهم حتى تظل سياستهم التعليمية هي الوحيدة في الميدان (٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩٩.

وليست القضية فقط قضية المعلمين العرب الـذين يدرسون في الخليج الذين يخشى المستعمرون البريطـانيون تأثيرهم على طـلاب الخليج، ولكن حتى ذهاب بعض طـلاب الخليج للـدراسة في بعض البـلاد العـربيـة كان مقلقـا لهم ومثيرا لهواجسهم. ولنقرأ:

«وكـان هنـاك مـوقف آخـر أزعج الإنجليـز وأقلقهم وبـرهن على رغبتهم في الهيمنة على المنطقة وجميع أمورها الخارجية، حينما سافر «عبد اللطيف الشملان» إلى القاهرة عندمـا كان مدير المعارف الكويتيـة، للتعاقد مع مدرسين مصريين. وأثمرت الرحلة عن التعاقد مع أربعة مدرسين مصريين تتحمل الحكومة المصرية نصف مـرتبـاتهم وتعـادل (١٢) جنيهـا مصريـا (في الشهـر طبعـا). كما أبلغ «الشمـلان» أن الحكـومـة المصريـة على استعـداد أن تستقبل بعثـة من طـلاب الكويت للدراسة في مصر، وأن تتكفل بجميع نفقاتهم الدراسية والمعيشية، وقد حدد العدد بـ (١٥) طالبا.

مجرد أربعة من المعلمين يأتون من مصر للتـدريس في الكويت، وخمسة عشر طالبا يـذهبون من الكويت للدراسة في مصر، مجرد هـذا تحسب له السلطات في الإمبراطورية البريطانية ألف حساب، تقيم الدنيا وتقعدها، لأنها تريد للخليج أن يظل تحت سيطرتها، وأن يظل بعيـدًا عن قلب العالم العـربي، مصر آنذاك، وقـد كـانت تفـور بتيـارات عنيفـة ضـد الاستعمار والمستعمـرين، فماذا فعـل الإنجليز؟؟يقول نايف بن ثنيان آل سعود:

«جميع هذه الأمور حدثت دون علم الإنجليز أو الاتصـال بهم مما أثار بالتالي حفيظة الإنجليز، وأدى في النهـاية إلى إقصاء «الشملان» من مديـرية المعارف. يقـول صالـح الشهاب «تـركت زيـارة المرحوم عبـد اللطيف الشمـلان إلى مصر ١٣٦١ - ١٣٦٢هـ (١٩٤٢ - ١٩٤٣م) ردود فعل عنيفة من قبل الإنجليـز، وكيف أنـه أجرى هذه الاتصـالات المهمة بـرجالات التربيـة والتعليم، وبحكم

علاقاته الشخصية معهم استطاع أن يحصل على مثل هذه الامتيازات، دون الرجوع إليهم وبدون علمهم، وهذا يعد مخالفة أن يتم اتصال خارجي مع دولة دون علم المعتمد البريطاني في الكويت أو في القاهرة [قمة السيطرة والتحكم . . ! !] إذ إنه من المتعارف عليه أن سفارات صاحب الجلالة ملك بريطانيا في جميع أنحاء العالم هي الممثلة . . والمسؤولة عن كل اتفاق أو اتصال تقوم به الكويت مع أية دولة أخرى، فاعتبر هذا التصرف الذي قام به المرحوم «عبد اللطيف الشملان» لزيارة مصر ما هو إلا تحدٍّ واعتداء على صلاحياتهم ونفوذهم في المنطقة، الأمر الذي طالبوا بعزله من إدارة المعارف، وأكثر من هذا، كما روى الشيخ «عبد الله الجابر الصباح» (*) في مقابلة تليفزيونية أن المعتمد البريطاني في الكويت قد طلب إبعاده من البلاد (١).

ومن المفيد أن نكمل هذه الصورة إلى نهايتها ففيها فائدة ونفع عظيم في فهم السيطرة التي كانت سائدة ذات يوم على بعض دول المنطقة :

«وعلى ما يظهر أنهم قد عادوا إلى تقاريرهم وسجلاتهم التي كانوا يدونون بها كل شاردة وواردة عن نشاطات الأفراد والجماعات من رجالات الخليج، فوجدوا أن التقارير التي سبق أن كتبت عن المرحوم «عبد اللطيف الشملان» في البحرين، قبل مغادرته إلى مصر، أنها كانت حافلة بجليل الأعمال والمواقف المشرفة، إلا أنها في نظرهم أعمال تناصب الإنجليز العداء، ولا تتفق مع سياستهم التعليمية . . . هذه التقارير جعلت الإنجليز ينظرون إليه نظرة الريب والشكوك، **فبدأوا بمحاولة الضغط على سمو أمير الكويت بقبول تعيين «جيمس وكلن» مستشارًا لمعارف الكويت، بالإضافة إلى عمله كمدير معارف**

(*) عبد الله الجابر الصباح : رئيس مجلس المعارف عام ١٣٥٥هـ. له دور كبير في مسيرة التعليم في الكويت. اتصف بالبشاشة ورحابة الصدر، ومعالجة الأمور بالحكمة والروية.

(١) المرجع السابق، ص ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

للبحرين، وقد عرض الأمر على مجلس المعارف الذي تردد بقبول الفكرة، إلا أنه مع الظروف السائدة آنذاك في منطقة الخليج اضطر مجلس المعارف أن يقبلها على مضض»(١).

ولقد يضحك القارئ العربي الآن حين يقرأ الخطاب الرسمي التالي، أو على الأقل قد يرفع حاجبيه دهشة لأمور قد يعدها يسيرة، بينما كانت السلطات البريطانية منذ خمسين عاما - تعدها ذات أثر بالغ الخطورة يستحق أن يصعّد إلى أعلى مستوى. . . ولنقرأ :

«رسالة مستعجلة» :

من مكتب المقيم السياسي في الخليج « بريور Prior » .

البحرين ٢٤ ديسمبر ١٩٤٢م.

إلى كل من سفير جلالة ملك بريطانيا - القاهرة.

سكرتير الشؤون الخارجية في حكومة الهند (نيودلهي).

سفير جلالة ملك بريطانيا - بغداد.

المعتمد البريطاني لدى الكويت.

سكرتير دولة الهند (المكتب الهندي) لندن.

وصلني من السيد المعتمد البريطاني لدى الكويت أن دائرة التعليم هناك تعاقدت مع أربعة من المدرسين المصريين للتدريس في مدارس الكويت. وتم ذلك عن طريق دائرة التعليم في مصر، دون الرجوع إلى المعتمد البريطاني في الكويت. وعلى ما يبدو أن الحكومة المصرية قد ساهمت بنصف مرتبات المدرسين. وقد وصفوا أنفسهم بـ (البعثة المصرية) وقد أبدى (جيمس وكلن)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠١.

- بصفته ممثلا عن الجمعية البريطانية ومستشارًا للتعليم في كل من البحرين والكويت - بأن انضمام هؤلاء المدرسين إلى هيئة التدريس في الكويت ذو نفع عظيم.

وأود أن تتحروا لي بكل دقة ووضوح : ما الدوافع وراء تصرف الحكومة المصرية في هذا الموضوع ؟ وهل هناك مغزى سياسي وأهداف خافية وراء ذلك؟ فكما تعلمون بأن العراق هي الأخرى كانت دائما وأبدا تسعى إلى تشجيع الطلبة الكويتيين وإغرائهم للدراسة في مدارسها بالمجان، ولا يستبعد أن يكون وراء هذا أمور ودوافع خفية[1].

ولا يحتاج الخطاب الرسمي لتعليق.. فكلماته تكفي لتبين تخوف حكومة بريطانيا (العظمى) آنذاك، مما يحدثه التعليم من تغيرات في عقول الناس وشخصياتهم في الخليج، وما قد ينتج عن هذا التغير من أزمات قد تقع بين المحتلين المهيمنين وبين سكان منطقة الخليج العربي.

مناهج التعليم في الخليج .. وهدف المنصرين :

لم يكن تعليم أبناء الخليج - في نفسه - هدفًا من أهداف الغرباء الذين تركوا بلادهم وجاءوا إلى هذه المنطقة من العالم على وجه الخصوص. لقد كان عندهم هدف واضح وهو محاولة إخراج طائفة من أبناء الخليج اليافعين عن دينهم، هكذا تقول مخططاتهم التعليمية بكل صراحة ووضوح، ودون لف أو محاولة إخفاء للهدف.

ففي البحرين بدأت الخدمة التعليمية للإرسالية العربية الأمريكية في الوقت الذي بدأت فيه الخدمة الطبية، وكانت أول مدرسة للتعليم الحديث على النظام

---

(١) المرجع السابق ٤٠٢

الغربي قد أنشئت هناك . . والتي افتتحها المنصر المعروف «زويمر Zwemer»، ولقد كانت هي المدرسة الأولى من نوعها في منطقة الخليج العربي.

وكان المنهج التعليمي يتألف من : الكتاب المقدس [وليس القرآن الكريم . . !!] والحساب، واللغة العربية. وقد تحدث (أحمد إبراهيم أحمد) أقدم تلاميذ الإرسالية في البحرين حول طبيعة الدراسة في تلك المدرسة فقال : لقد كانت الدراسة اليومية تبدأ عادة بالصلاة المسيحية وقراءة الإنجيل !!

كذلك تطورت مدرسة الإرسالية للبنات . . . واشتمل المنهج على الكتاب المقدس، وكانت تديرها زوجة زويمر، وفي عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م انتقلت إلى أملاك الإرسالية، وشغلت حجرتين من الطابق الأرضي في مبنى الكنيسة . . . وكان المنصرون يؤكدون على توجيه البنات نحو الإيمان المسيحي، كما نقل الباحث عن عبد الملك التميمي [١].

وفي عام ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م افتتح نادٍ للبنات في المدرسة، وأصبح جهاز هيئة التدريس يتألف من المنصرات المسئولات وإحدى المدرسات المحليات، يساعدهن المنصرون من الرجال في دروس الكتاب المقدس.

ويذكر أحد تقارير الإرسالية عن هذه المدرسة التنصيرية أن بعض التلاميذ استمر في المدرسة مدة طويلة، وأن نفور التلاميذ من التعليم المسيحي يضعف كلما طالت مدة بقائهم في المدرسة، وأن المعارضة الشديدة تأتي من التلاميذ الجدد. إن تفسير ما جاء في هذا التقرير يدل بوضوح على أن جهودًا كانت تبذل في المدرسة للتأثير دينيا على هؤلاء التلاميذ.

وفي مقابلة مع «يوسف حيدر»، مدير مستشفى الإرسالية في البحرين عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (أي منذ عشرين عامًا فقط) ذكر أنه يوجد في مدارس

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٨.

الإرسالية حوالي ٤٥٠ تلميذا وتلميذة، وأن مناهجها هي مناهج المدارس الحكومية نفسها، فيما عدا الدروس الإضافية في الدين المسيحي (*)(١).

وفي «مسقط» امتد نشاط المنصر «زويمر» كذلك؛ حيث افتتح هناك مدرسة أخرى هي «مدرسة الرقيق المحرر» وقد أسميت هكذا لأنها أسست - في البداية - لتعليم أطفال العبيد ورعايتهم من أجل تحويلهم إلى الدين المسيحي. ويهمنا هنا أن نركز على جانب المنهج فيها، حيث نجد أن «الكتاب المقدس» كان من أهم موضوعات الدراسة الرئيسة فيها. وأخطر من ذلك كان النشاط التنصيري المصاحب للمنهج حيث كانت الدراسة «تبدأ وتنتهي بتلاوة من الإنجيل والصلاة، كما كان الأولاد يؤخذون إلى الكنيسة بين الحين والحين.. وكانت البنات يتعلمن اللغة العربية واللغة الإنجليزية والكتاب المقدس، والخياطة»(٢).

وفي «الكويت» كان أحد المنصرين الذين يتولون عملية التعليم، ويدعى «كالفرللي»، كان يأخذ الأولاد أسبوعيا إلى الصلاة يوم الأحد في الكنيسة، كما كان يعلمهم الدين المسيحي، ويعطي كلا منهم نسخة من الكتاب المقدس باللغة العربية ليأخذها معه إلى والديه.. في المنزل..!! كما أن الإرسالية التنصيرية افتتحت مكتبة في السوق الرئيسي بالكويت لبيع الكتاب المقدس، وكتب دينية أخرى (*).

(*) هذا ويذكر الباحث أن حكومة البحرين تنبهت لهذا النشاط التنصيري الواضح، وأنها طلبت من إدارة تلك المدارس عدم حضور الطلاب المسلمين لدروس الدين المسيحي، كما يذكر أن هذا النشاط المسيحي الصريح كان من العوامل التي شجعت على التربية الإسلامية وعلى التعليم الحديث في المنطقة كرد فعل معاكس لذلك النشاط.

(١) المرجع السابق، ص ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٤٣١ - ٤٣٢.

(*) هذا ولقد لقي هذا النشاط التنصيري الواضح معارضة شديدة من المشايخ فبدأوا حملة واسعة من الوعظ في المساجد، وفي لقاءاتهم مع الناس.

وبعد..

فنكتفي بهذا القدر من النشاط التنصيري في مجال التربية والتعليم، والذي يمثل بعدا خطيرا من أبعاد الغزو الثقافي في الخليج، ولن نتحدث عن نشاط الإرساليات الأجنبية ودورها الخطير في هذا المجال، فهذه هي طبيعة عملها التي ينبغي على كل مسلم واع أن يعيها جيدا، ولكنا نعرف أن هذه الإرساليات تعتمد أنواعًا معينة من النشاط الهادف، وخصوصًا في مجال إقامة المستشفيات والمستوصفات، بجانب بناء المكتبات، وتوزيع الكتب.. حتى بالمجان، وهي بالقطع خلف بناء وإدارة الكثير من المدارس الأجنبية، بل إن بعض هذه الإرساليات تخصصت في طباعة كتب عن الإسلام القصد منها تشويهه، وتزييف حقائقه، ومن ثم إرباك عقول المسلمين الغافلين، وبخاصة الناشئة منهم.

هذا وقد رصد الباحثان الخليجيان المسلمان الواعيان، حفظهما الله، عددًا هائلا من الإرساليات والكنائس التي تحاول جهودها ـ ما استطاعت ـ إيجاد موطئ قدم لها في عقول ونفوس وأرواح وشخصيات أبناء الخليج، علهم يبعدونهم عن الدين الإسلامي الحنيف، ولكن الأمل دومًا يبقى في الله تعالى أولاً وأخيرًا، ثم في يقظة أبناء هذه الأمة، وفي صحوتهم الإسلامية المباركة التي سوف تضيع على هؤلاء الأعداء وعلى غيرهم الفرصة التي يبتغونها، وسوف تربك خططهم، وتذروها مع الرياح، بفضل الله جل وعلا، فهو من ورائهم محيط.

تنويه واجب:

قبل أن نختتم هذه الدراسة ينبغي النص على أنه في بحث كهذا لا ينتظر أن نمس كل مظاهر الغزو الثقافي في منطقة حساسة وخطيرة، مثل منطقة الخليج العربي، حيث هناك التليفزيون والفيديو والبث المباشر الذي تستقبله

والأطباق Dishs والـراديو والسفـر للخارج والعمالـة الأجنبية . . . إلخ . وهـذه كلها ، وغيرهـا كثير، يمكن أن تكـون موضـوعات لـدراسات متعمقـة لباحثين جادين ، ذوي رسـالة جادة لخدمـة أمتهم وللدفاع عنهـا ، وحسبنا أننا حـاولنا جهدنـا أن نبين جزءًا ، ولو يسيرًا منهـا . ونرجو أن يكـون الله سبحانه وتعـالى قد وفقنا فيه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو الهادي إلى سواء السبيل سبحانه .

مراجع الدراسة

أولاً : البحوث العلمية :

١ - أحمد صدقي الدجاني : الفكر الغربي والتغيير في المجتمع العربي، المستقبل العربي، العدد ٦٩ نوفمبر ١٩٨٤م.

٢ - أحمد مصطفى أبو زيد : التحدي الثقافي، ضمن بحوث الندوة الفكرية الرابعة لرؤساء الجامعات الخليجية، الدوحة - قطر، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ربيع الأول ١٤١٠هـ.

٣ - حنفي بن عيسى : الثقافة العربية في معركة المصير. . خطر الغزو الثقافي، ضمن بحوث الخطة الشاملة للثقافة العربية، المجلد الثالث، الكويت.

٤ - سعيد عبد الله حارب : الغزو الفكري في الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٥ - شاكر مصطفى : التخطيط الثقافي في دول مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد ٤، ١٤٠٧هـ.

٦ - صدقة يحيى فاضل : الأهمية العالمية المعاصرة للخليج ودول مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد ٥، ١٤٠٧هـ.

٧ - عبد الله العمر : التواصل الثقافي بين دول مجلس التعاون. . الواقع والمطلوب، مجلة التعاون، العدد ٣، شوال ١٤٠٦هـ.

٨ - عبد العزيز الجلال : خطة التنمية الثقافية لدول مجلس التعاون. . مشروع مقترح ومفاهيم مختلفة، مجلة التعاون، العدد ٦، شعبان ١٤٠٧هـ.

٩ - عبد الكريم غلاب : التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي، المستقبل العربي، العدد ٣٦، فبراير ١٩٨٢م.

١٠ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ضمن بحوث مؤتمر الفقة الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦هـ.

١١ - عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ضمن بحوث المؤتمر السابق.

١٢ - عبد الله بن عبد المحسن التركي : تحديد مفهوم الغزو الثقافي، ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، بجاية - الجزائر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣ - علي عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ضمن بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦هـ.

١٤ - محمد عباس إبراهيم : الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتنمية الحضرية في مجتمعات الخليج العربي، مجلة التعاون، العدد الأول، ١٤٠٦هـ.

١٥ - محمد عبد العليم مرسي : أثر التغيرات والعوامل الاجتماعية والاقتصادية في تحديد مكانة المعلم في دول الخليج العربية، مجلة التعاون، العدد ١١، ١٤٠٨هـ.

١٦ - محمد عبد العليم مرسي : دور التعليم العالي في تنمية دول الخليج العربي، مجلة مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، ١٤٠٣هـ.

١٧ - محمد عبد العليم مرسي : ترشيد جهود أعضاء هيئات التدريس في مجال البحث العلمي في دول الخليج العربية، ضمن بحوث الندوة الفكرية الثانية لرؤساء الجامعات الخليجية، جدة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ.

١٨ - محمد عبد العليم مرسي : دور التربية في مواجهة الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على كهربة الريف في جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٩ - محمد الرميحي : واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، المستقبل العربي، العدد ٤٩، مارس ١٩٨٣م.

٢٠ - محمد الرميحي : الإبداع الثقافي ومعوقاته في أقطار مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد الأول، ١٤٠٦هـ.

٢١ - محمود أمين العالم : الغزو الثقافي والتخطيط المستقبلي للثقافة العربية، ضمن بحوث الخطة الشاملة للثقافة العربية، مرجع سابق.

٢٢ - نايف بن ثنيان آل سعود : المستشرقون البريطانيون وأثرهم في توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي «دول مجلس التعاون»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٠هـ.

٢٣ - سعيد عبد الله حارب المهيدي : الغزو الفكري في الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

ثانيًا : الكتب :

١ - الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد الأول، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٢ - حسان محمد حسان : وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.

٣ - زكي محمد إسماعيل : الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٢هـ.

٤ - سعد مرسي أحمد، سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م.

٥ - عبد الحليم عويس : ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، النادي الأدبي، الرياض، ١٣٩٩هـ.

٦ - عبد الغني عبود : الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م.

٧ - عبد المنعم الصاوي : عن الثقافة، دار العلم، (بدون مكان نشر)، ١٩٦٦م.

٨ - علي عبد الحليم محمود : الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، دار البحوث العلمية، الكويت، بدون تاريخ.

٩ - علي خليل مصطفى أبو العينين : أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

١٠ - علي خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

١١ - فاروق مصطفى إسماعيل : الأنثروبولوجيا الثقافية، (بدون دار نشر)، الدوحة، ١٩٨٦م.

١٢ - فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

١٣ - فؤاد البهي السيد : علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.

١٤ - ماجد عرسان الكيلاني : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٥ - محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر، الدار العلمية، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.